التوجهات الاصلاحية عند المفكر علي مبارك

أ.د. عبد الكريم حسين الشباني م. رنا جبوري موسى العيساوي
جامعة القادسية /كلية التربية / قسم التاريخ

Reformation trends of the thinker Ali Mubarak

Prof. Abdul Karim Hussein Al-Shabani m. Rana Jabouri Musa Al-Issawi
Al-Qadisiyah University / College of Education / Department of History
Rana.mousa@qu.edu.iq

Abstract

During the nineteenth century, a group of Arab thinkers appeared, some of whom were destined to study in Europe and gain direct access to the scientific and cultural reality of the development and progress of those countries, and this had a great impact on their intellectual orientations, and because there were many studies that dealt with the political, social, economic and military reality of Arab urbanities during the nineteenth century However, some studies lacked the pioneers of the Arab renaissance movement in that era, and the Arab thinker (Ali Mubarak) stands at the forefront of these pioneers.

Key words: Reformation trends , Ali Mubarak**.**

المستخلص

ظهر خلال القرن التاسع عشر مجموعة من المفكرين العرب الذي قُدر لبعضهم الدراسة في أوربا والاطلاع المباشر على الواقع العلمي والحضاري للتطور والتقدم الحاصل لتلك الدول فكان لذلك تأثير كبير على توجهاتهم الفكرية، ولان كثرت الدراسات التي عالجت الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري للحواضر العربية خلال القرن التاسع عشر، إلا أن بعض الدراسات افتقرت إلى تناول رواد حركة النهضة العربية في تلك الحقبة، ويقف في مقدمة هؤلاء الرواد المفكر العربي (علي مبارك).

الكلمات المفتاحية : التوجهات الإصلاحية ، علي مبارك.

المقدمة:

ظهر خلال القرن التاسع عشر مجموعة من المفكرين العرب الذي قُدر لبعضهم الدراسة في أوربا والاطلاع المباشر على الواقع العلمي والحضاري للتطور والتقدم الحاصل لتلك الدول فكان لذلك تأثير كبير على توجهاتهم الفكرية، ولان كثرت الدراسات التي عالجت الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري للحواضر العربية خلال القرن التاسع عشر، إلا أن بعض الدراسات افتقرت إلى تناول رواد حركة النهضة العربية في تلك الحقبة، ويقف في مقدمة هؤلاء الرواد المفكر العربي (علي مبارك).

وتألف البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة، وتناول البحث موقف علي مبارك من الاصلاح، وما هو مفهوم الاصلاح عنده، وكان المبحث الأول بعنوان (مفهوم الاصلاح عند علي مبارك)، واما المبحث الثاني فقد تناول وسائل وادوات الاصلاح عند علي مبارك التي تتمثل في الترجمة والصحافة والتاريخ.

واعتمدت الباحثة على مجموعة من المصادر تأتي في مقدمتها المصادر الأصلية التي تعد من مؤلفاته، وهي كالآتي: كتاب (الخطط التوقيفية)، ويتكون من عشرين جزءً، وكتاب (علم الدين)، ويتكون من أربعة اجزاء، وكتاب (نخبة الفكر في تدبير نيل مصر)، إذ تمثل مؤلفاته جوهر توجهاته الفكرية، وكذلك مؤلفات المفكر العربي (محمد عمارة) صاحب الجهد الكبير في مؤلفه (الاعمال الكاملة لعلي مبارك)، وكذلك كتاب (تقويم النيل) تأليف (امين سامي باشا) الذي يتكون من عدة اجزاء.

واعتمدت الدراسة على الوثائق الرسمية الخاصة بعلي مبارك في محفوظات عابدين، وكذلك اعتمدت على مجموعة من الكتب المعربة التي افادت الدراسة كثيرا، ومنها كتاب (تاريخ الاقطار العربية الحديثة) لمؤلفه (لوتسكي)، وكتاب (الاقتصاد والادارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر) لمؤلفه (هيلين آن ريفلين).

وكانت الصحافة مصدرا هاما ولاسيما الصحف التي صدرت في عهد (علي مبارك)، إذ وضحت فكره وتوجهاته الاصلاحية ومهمته بالنهوض بالواقع التعليمي والصحي والهندسي للبلد في تلك الحقبة، وقد واجهت الباحثة صعوبات كثيرة تكمن في اختيار الموضوع، ولاسيما أن عملية دراسة موضوع ما بالفكر ليست بالامر السهل، فضلا إلى صعوبة السفر إلى جمهورية مصر العربية، إذ أن حواجز وقيود السفر على العراقيين كثيرة وتكاليفه باهظة ولاسيما مع عدم توفر الامكانيات المادية المطلوبة.

تألف البحث من مقدمة، ومبحثين وخاتمة اضافة الى قائمة المصادر، اما بالنسبة الى المبحثين فقد تضمن المبحث الاول، دراسة مفهوم الاصلاح في مصر وقد ركز علي مبارك في هذا المبحث على اهم النقاط التي يستطيع من خلالها نقل النهضة الاوربية الى مصر، وخصص المبحث الثاني واجهات الاصلاح عند علي مبارك التي تشمل الترجمة والصحافة والتاريخ، وكذلك الخاتمة فهي ملخص عن موضوع الاصلاح، واخيرا قائمة المصادر التي اعتمدتها الباحثة لموضوع الدراسة.

الباحثة

علي مبارك: حياته ونشأته:

ولد علي مبارك في عام (1239هـ / 1823م) في بلدة برنبال – مركز دكرنس – محافظة الدقهلية من اسرة معروفة، اذ كان ابراهيم الروجي جد علي مبارك الذي استقر في برنبال فقيهاً من فقهاء الريف المصري، وحافظاً للقرآن الكريم، وملماً بأمور الدين واحكامها، فتولى منصب الامام والخطيب بمسجد القرية، كذلك تولى منصب القاضي الذي يوثق عقود الزواج والطلاق، ويفصل بين الناس بالمنازعات، وسار على نهجه ابنه سليمان وحفيده مبارك حتى سميت الاسرة بـ (عائلة المشايخ)[1]

عند ولادة علي مبارك كانت عائلة المشايخ هذه في برنبال تضم نحو (مائتي فرد) الى جانب المناصب السابقة الموكلة اليهم يمارسون حرفة الكيل والميزان، وكان الشيخ مبارك والد المفكر الكبير رجلاً مهيباً تزين هيبته الجليلة ولونه الابيض فصاحة لسانه وادب جم، واثار ظاهرة للتقوى والصلاح [1]، كان لدى علي مبارك اخوة كثيرون ذكور غير اشقاء وسبع بنات شقيقات وقد تعرضت اسرته لظلم النظام السياسي والاجتماعي انذاك حيث اثقلت كاهلهم الضرائب التي كانت تفرض على الفلاحين مما ادى بهم الى الهجرة وترك برنبال كي يقيموا في (قرية حمادين) من قرى محافظة الشرقية، وكان عمره انذاك ست سنوات [2].

دراسته:

كان الشيخ مبارك عازماً على ان يعد ولده ليكون فقيهاً، فقام بإرساله الى شيخ ضرير اسمه (ابو عبد) كما يحفظ القران، ولكن لم يلبث علي مبارك ان ترك هذا الشيخ، فقام ابوه بإرساله الى شيخ اخر ولكن دون جدوى مما اضطر الشيخ مبارك الى تعليم ابنه بنفسه اذ لم يجد فقيهاً سواه، بعد ذلك ارسله الشيخ مبارك الى عدة شيوخ لتعليمه وتحفيظه القران الكريم لكن علي مبارك لم يلبث عندهم طويلاً حيث كان علي مبارك يرغب في مهنة الكتابة لمّا رأى ما للكاتب من مكانة في الدولة اذ يعد احد موظفيها الكبار، فاعجبه هذا العمل فمارس الكتابة في دوائر الزراعة بجهاز الدولة، ومنذ ذلك الوقت اخذ يتطلع الى جهاز الدولة ورجالاته وقال عن ذلك: " فقد رغبت ان اكون كاتباً لما للكاتب من حسن الهيئة والهيبة والقرب من الحكام [3]، وعندما بلغ علي مبارك الثالثة عشر من عمرة اخذ يتطلع الى مدارس محمد علي فدخل مدرسة القصر العيني، وهنا احس علي مبارك بخيبة امل، اذ كان نظامها عسكرياً قاسياً وطعامها رديئاً، وقد مرض واتيحت له فرصة الهروب ولكن لم يهرب خوفا من العقوبة، واخذت حياة علي مبارك تأخذ

---

[1] علي ابراهيم البحراوي ، علي باشا مبارك اول وزير للمعارف وابو التعليم في مصر ، (د.ط) ، ص8 .

[1] حسين فوزي النجار ، علي مبارك ابو التعليم ، دار الكتاب العربي ، (القاهرة – 1967) ، ص16 .

[2] علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج9 ، المطبعة الاميرية ببولاق ، (مصر – ط1 1305هـ) ، ص38 .

[3] صلاح زكي احمد ، اعلام النهضة العربية الاسلامية في العصر الحديث ، مطبعة الحضارة العربية ، (ط – بلا) ، ص46-47 .

مجرى اخر في مدارس محمد علي ثم اخذ يتنقل بين المدارس الى ان وصل الى مدرسة المهندسخانة بسولاق، وتخرج علي مبارك من مدرسة المهندسخانة عام (1260هـ / 1844م) [4].

وقد اختار محمد علي باشا في هذا العام عدداً من التلاميذ المتقدمين في هذه المدرسة ليتم ارسالهم في بعثة الى فرنسا، وهي البعثة التي عرفت باسم (بعثة الانجال) كما اطلق عليها علي مبارك نفسه، فقد كانت تضم عدد من افراد اسرة محمد علي باشا من بينهم اسماعيل باشا (الخديوي اسماعيل)، وكانت هذه البعثة مهمة جداً فهي بعثة عسكرية ذهبت لدراسة فنون الحرب في فرنسا [5].

المبحث الأول: مفهوم الإصلاح:

ورد الاصلاح في القران الكريم في اكثر من سورة كقوله تعالى: **((وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ))** [6]، وكذلك في قوله تعالى: **((إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ))** [7]، ويتحدد مفهوم الاصلاح في تعاريف عدة وحسب تجارب الشعوب المختلفة، وقد تطور مفهومه بتطور الزمن، فمفهومه في اوربا يمر بمراحل تطورية خلال القرن التاسع عشر، تمثلت بالتحولات الكبرى التي شهدتها اوربا والتي امتدت من عصر النهضة الاوربية العصر الذي شهد حالة من التجدد وبعث الحضارة الاغريقية وإحياؤها من جديد بعد حقب مظلمة مثلتها القرون الوسطى [8].

وتأثر علي مبارك بحركة الاصلاح والنهضة التي تعيشها اوربا التي عاشها من خلال دراسته في باريس، فادرك أن تطور اوربا جاء نتيجة لاهتمامهم بالعلم الذي دخل كل ميادين الحياة، فكان من الطبيعي أن يدعو إلى نقل تلك التجربة إلى بلده مصر، لكن تلك الفكرة لم تكن ضمن مفهوم نقل كل شيء من الغرب، بل يجب أن تراعى ظروف مصر كبلد عربي مسلم [9]، وقد ركز علي مبارك على عدة نقاط لنقل الاصلاح إلى بلده مصر اهمها:

1. الدعوة إلى نقل العلم الاوربي إلى مصر:

ففي دعوة علي مبارك للاصلاح التي كرس حياته لتتلقاها مصر منه وتتقبلها وتعمل بها، بل تسير على نهجها في سياسة ثابتة دائمة، ونجد ارائه التي امن بها وسجلها في مؤلفاته، وظل يرددها في صور شتى وفي مناسبات مختلفة، ودعا قومه إلى أن يؤمنوا بها لاعتقاده أن استقامة حياتهم، واستعادة مجدهم، ودخولهم في مداخل الدول القوية ذات السيادة والمنعة في عصرنا الحاضر، رهين بالاستجابة لهذه الدعوة، والايمان بهذه الآراء، والعمل على اساس هذه الاستجابة وهذا الايمان [10].

---

[4] محمد عمارة ، الاعمار الكاملة لعلي مبارك ، ج1 ، ص28-29 .

[5] عمر طوسون ، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهد عباس الاول وسعيد ، (الاسكندرية – 1934) ، ص372-373 .

[6] سورة البقرة : الاية 220 .

[7] سورة القصص : الاية 19 .

[8] روبرت بالمر ، تاريخ العالم الحديث ، ترجمة : محمود حسين الامين ، مراجعة : جعفر خصباك ، مكتبة الوفاء ، الموصل ، 1964 ، ص96 .

[9] عمر طوسون ، البعثات العلمية في عهد محمد علي ، الإسكندرية ، 1934م ، ص84 .

[10] محمود الشرقاوي وعبد الله المشد ، علي مبارك حياته ودعوته وآرائه ، المصدر السابق ، ص161 .

وكانت اعماله كلها مطابقة لما اعتقد من آراء وما دعا من دعوة، فقد كان معجبا اشـد الاعجاب بالحياة العلمية الاوربية، وما تحقق لاهل اوربا عن طريق العلم والمعرفة من الخير والتقدم، وقد تكون دعوته ويكون اسـلوبه اقوى وأبين في تلخيص هذه الدعوة في كتابة (علم الدين) في دعوته لاهل الشرق لان يتخذوا العلم الاوربي سبيلا للتقدم والقوة والسعادة والغنى [11].

وذكر مبارك أن الاوربيين جمعوا في بلادهم معارف الملل المتفرقة فوق سـطح الأرض وفي وسـط البحار المتسـعة، فوصـلوا بسـعيهم واجتهادهم إلى اعلى درجة في التمدن، حتى صـاروا في عصـرنا هذا منفردين باكثر الصـنائع متمتعين بين جميع الملل بالرفاهية والحرية التامة، رأيهم أمر نافذ، وقوتهم ليس لها معارض ولا منابذ [12].

ودعا علي مبارك أهل الشرق لتعلم اللغات الاوربية ومع انه قد تعلم في فرنسا واجاد اللغة الفرنسية إلا انه دعا أيضا إلى تعلم اللغة الانجليزية، وليس في ذلك شيئا من التناقض اذا نظرنا إلى أن الانجليزية هي لغة العلم والصناعة، وانه يدعو اليها دعوة قوية ملحة، كما يدعو إلى المعرفة والبحث عن الاسباب التي تقدمت بها اوربا، لذلك فهو كبير العناية بعلوم الرياضة من الحساب، والجبر، والهندسـة، والكيمياء، والطب، والفلك، والمخترعات الحديثة والنظريات والمبادئ التي قامت عليها هذه المخترعات، ودعا علي مبارك إلى الصـناعة والعناية بها، كما رغّب ترغيبا شـديدا في الجندية وصـناعة الحرب، وازالة ما في نفوس المصـريين وما استقر فيها يومذاك من أن الرياسة والصدارة والامارة وقيادة الجند وقف على غير المصريين، ولا يجب أن يعتقدوا في انفسهم انهم كفؤ لها [13].

ويطمح علي مبارك من خلال هذه الدعوات للعلم والحضارة الاوربية إلى أن يسلك المصريين إلى ذلك سبيلا هينا، سهلا، وسطا، لا طفرة فيه ولا تسرع، ولا وهن، فهو يعتمد هنا على الزمن والصبر والمثابرة في تحول هذا الوطن عن آراء الشرف وعاداته ومخلفاته إلى علم الغرب ومبادئه في الحياة والفهم والسلوك [14].

2. الدولة:

كان علي مبارك واحدا من المفكرين المثقفين المصـريين الذين اسـهموا في بناء تجربة مصـر الحديثة من خلال جهاز الدولة المدني الجديد الذي عرفته البلاد منذ حكم محمد علي سـنة 1805م[15]، وهناك حقيقة تقول أن جهاز الدولة هذا هو اداة الاصلاح والتقدم والتطور الوحيدة في البلاد حتى سبعينات القرن التاسع عشر، ولم يكن هناك لمصلح خارج هذا الجهاز يستطيع أن يمارس منه أي دعوة من دعوات الاسـتنارة والاصـلاح من خارج جهازها، وانما لان الملابسـات التي صـاحبت البلاد إلى عصـر اليقظة والتنوير قد فرضـت أن يكون سـيرها هذا عبر انجازات جهاز الدولة، وقد جعلت من جهاز الدولة الاداة الاولى والفعّالة والوحيدة في تحقيق اهدافها في هذا الميدان [16].

وكانت نظرة علي مبارك إلى جهاز الدولة نظرة علمية واقعية، فالدولة في احدث التعريفات هي جهاز قهر تمتلكه طبقة اجتماعية أو مجموعة طبقات، لتسخره في تنمية مصالحها وتحقيق اهدافها، وقهر المناوئين لهذه المصالح والاهداف، وما السلطات

---

[11] المصدر نفسه ، ص162 .

[12] علي مبارك ، علم الدين ، ج1 ، الاسكندرية ، 1882م ، ص308 – 309 .

[13] محمود الشرقاوي وعبد الله المشد ، علي مبارك حياته ودعوته وارائه ، المصدر السابق ، ص163 .

[14] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص318 .

[15] علي إبراهيم البحراوي، علي باشا مبارك اول وزير للمعارف وابو التعليم في مصر ، د.ط ، ص64 – 69.

[16] علي مبارك، الخطط التوفيقية، المطبعة الكبرى الاميرية بيولاف، مصر، 1305هـ ، ط1 ، ج9، ص53–59.

المتعددة والاجهزة التنفيذية والتشـــريعية والقضـــائية المختلفة إلا ادوات تطبيق وتحقيق لهذا الهدف ولتلك الفلســـفة التي تمثل فكر الحاكمين [17].

ويتقدم علي مبارك على درب نقد الدولة خطوة أخرى، فينتقد بطريق يكاد يكون مباشر السلطة المطلقة للحاكم، والسلطان غير المقيد بالقانون والدستور والشورى، وذلك عند حديثه عن انواع الحكومات فيقسمها إلى جمهورية وملكية، ثم يقسم الملكية إلى: ملكية مقيدة، وملكية مطلقة، فيزكي المقيدة ويعيب على المطلقة أن الهوى والغرض الذاتي هو الحاكم على المحاكم فيها، ويقول علي مبارك: " أن الحكومة تنقسم إلى صورتين [18]: الاولى: الحكومة الجمهورية: وهي أن يكون الحكم مفوضا لمجلس مركب من اعضاء تنتخبهم الرعية، لادارة امور المملكة تحت قوانين يلزمهم العمل بها وعدم الخروج عنها، والثانية: السلطنة والحكومة الملكية: وهو أن يكون زمام الحكم والتدبير والامر والنهي بيد شخص واحد وهو الملك، وهذه أيضا تنقسم إلى قسمين: مقيدة ومطلقة، لانها اما أن يكون الملك مقيدا بقوانين وشرائع لا يستطيع الخروج عنها إلى هوى نفسه، وهي الحكومة الملكية المقيدة، واما أن يكون غير مقيد بشيء من ذلك يحكم برأيه، ويتصرف بهوى نفسه، فيكون رايه شريعة المملكة، وحكمه قانونها، وهي الحكومة الملكية المطلقة " [19].

وكتب علي مبارك هذا الكلام في عهد الخديوي سعيد في مصر، ونشره في مصر في عهد الخديوي توفيق، وفي عهد الخديوي اسماعيل كتب في كتابه (نخبة الفكر في تدبير نيل مصر) وهو الكتاب الذي سبب له ازمة مع جهاز الدولة والخديوي فقد فيها كل مناصبه لمدة من الزمن، فكتب عن الاصول الضرورية لتحقيق السعادة في المجتمع، فلخصها في اصلين رئيسين هما: العمل، والعدل المترتب على تقييد الســـلطة الحاكمة بالقانون، فبالعمل تتحقق الثروة، وبالعدل تصـــل الثروة إلى العاملين فيتحقق الهدف السامي من وجودها [20].

ويرى علي مبارك أن تقييد الســلطة بالقانون وتقليد المناصـــب الحاكمة للعلماء والخبراء ســيفتح باب الحرية في المجتمع واســـعا امام المواطنين، وهو الأمر الذي حبذه علي مبارك، فقد حدثنا عن ما تتمتع به باريس فيقول: " فلقد كانت باريز على غاية في التقدم وكثر به المؤلفون، ورحل اليها كثير من أهل اوربا، وخفف فيها شـــأن العقوبات، فكان كل انســـان يتكلم بحرية ويكتب ما يشاء من احوال الخلق، سواء كانت خصوصية او عمومية، سياسية أو دينية، وظهر فيها رجال ذوو افكار، فالفوا كتبا انتشرت في سائر الاقطار فانجلت عنهم غياهب الجهل وتميزوا على غيرهم بالعقل " [21].

ويتضح مما قد سبق الفكر النظري والعام عند علي مبارك في الدولة والسلطة والسلطان، وضد السلطة المطلقة والفردية، وهو فكر نظري صاغة في ظل تجربة سياسية تميزت الدولة فيها بالجنوح الشديد إلى حكم الفرد، ومن ثم فلابد وان يحسب لعلي مبارك اسهاما جريئا في نقد سلطة الفرد المطلقة، ودعوة إلى تقييد سلطان الحاكم وسلطته بالقانون [22].

---

[17] حسين فوزي النجار ، علي مبارك أبو التعليم ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1967 ، ص 83 .

[18] المصدر نفسه ، ص52 .

[19] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص 312 .

[20] علي مبارك ، نخبة الفكر في تدبير نيل مصر ، المصدر السابق ، ص5 .

[21] علي مبارك ، نخبة الفكر في تدبير نيل مصر ، المصدر السابق ، ص 27 – 28 .

[22] المصدر نفسه ، ص185 .

3. التعليم:

سبق علي مبارك متنوري المرحلة آنذاك، فهو يعد واحدا من كوكبة المفكرين والمثقفين المصريين الذين اسهموا في بناء تجربة مصر الحديثة من خلال جهاز الدولة المدني الذي كان اداة التنوير والاستنارة والتقدم والتطوير الوحيدة في البلاد المصرية [23]، ويرى علي مبارك أن اصلاح التعليم هو خير انواع الاصلاح، بل هو خير من الاصلاح السياسي، كما اكد على أن الاصلاح السياسي ما لم يرتكز على الاصلاح التعليمي فلا بقاء له ولا قيمة لذلك [24].

وكانت رغبة علي مبارك في اصلاح التعليم مستندة إلى دعامتين، الاولى: إحساسه بان التعليم يجب أن يكون من متطلبات البيئة ويساير حاجتها، والثانية: إحساسه بان التعليم يجب أن يكون شعبيا – أي غير خاضع لسلطات الحكومة – فعد التعليم كالماء والزاد فقال في ذلك: " فالخلق مفتقرة إلى العلم في سائر البلاد كافتقار الظمآن إلى الماء " [25]، كما نبه إلى اهمية الكتاب والمطالعة، فكان يرى في المطالعة انها: " تزيد البركة في العمر، وان قلة الاطلاع بمنزلة قصر العمر "، وكان علي مبارك من الداعين إلى اهمية الكتاب والمطالعة، وعمد علي مبارك إلى انشاء دار الكتب عام 1870م التي وصف مشروع انشائها قائلا: " من انفع التجديدات التي حدثت في عهد الخديوي اسماعيل، وحصل به النفع العام للخاص والعام " [26].

ويعد علي مبارك رجل التعليم في مصر، إذ أن نظارة المعارف عرفت اوج ازدهارها في عهد الخديوي اسماعيل سنة 1868م، وان علي مبارك تولى منصب نظارة المعارف في 15 ابريل سنة 1868م، إذ تولى نظارتها اربع مرات إلى سنة (13 مايو سنة 1891م)، وكان آخر عهده بها، ففي المدة التي سبقت تولي علي مبارك نظارة المعارف كان طابع التعليم في مصر باستثناء الازهر اما حربي أو عملي وثيق الصلة بالتعليم الحربي.

وشهد التعليم العالي في بداية تولي علي مبارك نظارة المعارف اهتماما وحقق نهضة، وظهرت إلى حيز الوجود مدارس العلوم الانسانية مثل (مدرسة الادارة)، و (الحقوق) سنة 1868م، و (مدرسة اللسان الحبشي) سنة 1868م، و (مدرسة اللسان المصري القديم) سنة 1869م، و (فرقة الرسم بالمدارس الملكية)، و (فرقة النقاشين) 1869م، و (دار العلوم) سنة 1870م، و (الالسن) (قلم الترجمة) سنة 1878م [27].

ولم يكن اهتمام علي مبارك بالتعليم العالي على حساب المتوسط (التجهيزي) أو الابتدائي، كما لم يهتم بجانب ويهمل الآخر، فعنايته بالعلوم الانسانية لم تقلل من عنايته بمدارس العلوم العملية، فهو الذي اقام (مدرسة العمليات الجهادية)، و (مدرسة العمليات الملكية)، و (فرقة التلغراف)، وكذلك جملة فرق متنوعة أخرى مثل (كالمساحة والمحاسبة) سنة 1868م، و (فرقة عمليات المرور) سنة 1870م، وبذلك يتفق مجموعة من المؤرخين على تسميته بـــ (ابو التعليم الصناعي)، فجميع المدرس الصناعية التي انشأت في مصر منذ توليه نظارة المعارف سنة 1868م حتى وفاته قد انشأت في زمن نظارة للمعارف فقط، فلم تقم في مصر مدرسة صناعية واحدة إلا في سنة 1902م، أي بعد وفاته بعشر سنوات [28].

---

[23] محمود الشرقاوي وعبد الله المشد،علي مبارك حياته ودعوته واثاره،مكتبة الانجلو المصرية،ط1 1962،ص175.

[24] احمد امين ، زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، المصدر السابق ، ص200 .

[25] سؤدد عبد الحسين سبتي ، دور النخبة المثقفة في الحياة الفكرية والسياسية في مصر من1869 إلى 1918م، اطروحة دكتوراه ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية ، 2007 ، ص152 .

[26] المصدر نفسه ، ص153 .

[27] المصدر نفسه ، ص17 –20 .

[28] امين سامي ، تقويم النيل ، المصدر السابق ، المجلد الثاني ، الجزء الثالث ، ص792 .

واما بالنسبة للريف فقد وجه عناية الدولة للاهتمام بالتعليم في الريف بعد أن كان مقتصرا على العاصمة وبعض المدن الكبرى، فقام بتحويل المكاتب الاهلية في القرى والريف وكان عددها (5000) مكتب إلى مدارس ابتدائية نظامية، وهيأ لها سبل اداء رسالتها ماديا وادبيا، وتوسع في عددها بالمدن الاقليمية بالبلاد، وانشأ للمكاتب الاهلية ادارة خاصة بها في ديوان المدارس سنة 1871م، كما واجرى احصاء للمتعلمين يومئذ فوجد نسبتهم 5% [29].

ولم يقف علي مبارك من هذا الأمر مكتوف الايدي وانما قدم طلبا إلى الخديوي بضرورة التبرع من املاكه الخاصة لاجل التوسع في التعليم، فصدرت اوامر الخديوي في (25 ربيع الأول سنة 1288هـ / 14 يونيو سنة 1871م) بتخصيص عشرة الاف فدان من اطيان الميري، وعشرة الاف فدان من اطيان الاواسي، وجميع الاملاك التي آلت إلى بيت المال، ومبلغ سبعة الاف كيس (35000 جنية) للمكاتب الأهلية [30].

وتأسيساً على ما تقدم فقد ظل اهتمام علي مبارك قائما وسعيه دائبا لتنظيم هذه المكاتب وتحديثها، فقد طلب في مذكرة إيضاحية قدمها عن التعليم في مصر في (24 جمادي الآخرة سنة 1307هـ/15 فبراير سنة 1890) أن يقوم مكتب نظامي ابتدائي من الدرجة الثالثة في كل بلد لا يزيد تعداد سكانه عن (1000 نسمة)، ومن الدرجة الثانية اذا زاد عدد السكان عن (1000 – 5000 نسمة)، ومن الدرجة الاولى للبلد الذي يتجاوز عدد سكانه الخمسة الاف [31]، وطالب علي مبارك مجالس المديريات بتدبير المباني لهذه المؤسسات التعليمية والانفاق عليها وصيانتها، وان تنشأ بدار العلوم فرقة ابتدائية خاصة لتخريج معلمي هذه المكاتب، واقرت نظارة المعارف مشروعة هذا في (13 محرم سنة 1203هـ / 18 اغسطس سنة 1890م) [32].

ووجه علي مبارك اهتمام الدولة إلى تعليم البنات بعد عام واحد من توليه نظارة المعارف، ففي (24 محرم سنة 1286هـ / 6 مايو سنة 1869م) ارسل الخديوي إلى علي مبارك خطابا قال فيه: " قد اقتضت ارادتنا انه بمعرفتكم يجري انشاء محل مدرسة بجنينة تعليم البنات في ارض الميري المتخلفة من بعد التنظيم في شارع باب اللوق، فيلزم المبادرة باجراء مقتضى ذلك، كما هو مطلوبنا.. " [33]، فمنذ ذلك التاريخ بدأ اهتمام الدولة بالتعليم العام للبنات بعد أن كان تعليمهن مقتصرا على الولادة منذ عهد محمد علي.

وكان علي مبارك يبحث في السبل لتعليم الناس ما هم في حاجة إليه، فلا يستنكف أن يكون معلما للهجاء، وقد قام زمنا بتعليم الجنود، ويقول في هذا الصدد: " كيف لا ارغب انتهاز فرصة تعليم ابناء الوطن "، كما قال أيضا: " كنا مبتدئين نتعلم الهجاء، ثم وصلنا إلى ما وصلنا إليه " [34]، ولم يترك علي مبارك بابا من ابواب المعرفة إلا وكان له فيها ركن، وكان له فيه اثر من المعارف المدرسية إلى المعارف العامة فالمعرفة التخصصية، فمن الهندسة المدنية والعسكرية إلى العلوم والرياضيات، ومن الجغرافية إلى التاريخ، ومن خواص الاعداد إلى المكاييل والاوزان، ومن علوم الدين إلى علم الاخلاق والاجتماع، بل وعلم التغذية

---

[29] المصدر نفسه ، المجلد الثاني ، الجزء الثالث ، المصدر السابق ، ص910 .

[30] علي مبارك ، الخطط التوقيفية ، المصدر السابق ، الجزء الثالث ، ص66 .

[31] امين سامي ، التعليم في مصر ، القاهرة ، 1917م ، ص 68 – 69 .

[32] علي مبارك ، الخطط التوقيفية ، المصدر السابق ، الجزء الثالث ، ص67 .

[33] امين سامي ، تقويم النيل ، المصدر السابق ، المجلد الثاني ، الجزء الثالث ، ص812 .

[34] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص 241 – 242 .

وما يتصل بها من معارف طبية، فقد كان الرجل موسوعيا يختزن قلمه أو تختزن ذاكرته كل ما يقرأ، ويسوقه احيانا على حاله أو يطبعه بفكره تحمله حقيقة ما إلى فكرة ثم تسوقه أخرى إلى نقيضها [35].

وكان علي مبارك يكتب للناس كل ما يرى أنهم بحاجة إليه، ولا يبخل بعلمه على احد، ولا يمنعه عن راغب، بل انه ليغذي الناس به، فيقول في مقدمة كتابه (علم الدين) انه: " راى النفوس كثيرا ما تميل إلى السّير والقصص وملح الكلام بخلاف الفنون البحتة والعلوم المحضة، فقد تعرض عنها في كثير من الاحيان ولاسيما عند السآمة والملل من كثرة الاشتغال، وفي اوقات عدم خلو البال، فحداني هذه الايام نظارتي لديوان المعارف إلى عمل كتاب اضمه كثيرا من الفوائد في اسلوب حكاية لطيفة ينشط الناظر فيها إلى مطالعتها، ويرغب فيها رغبته في ما كان من هذا القبيل فيجد في طريقه تلك الفوائد ينالها عفوا بلا عناء حرصا على نعيم الفائدة وبث المنفعة " [36].

وأدرك علي مبارك نعمة التعليم عليه وفضله فيما وصل إليه في وطنه فيقول: " حتى صرت من ابنائه المعدودين ورجاله المعروفين " [37]، وعليه أن يفي بدينه إليه، وان كان على يقين من انه وان استوفى الجهد وقضى العمر في خدمته، ويقول في ذلك: " لم اقم بعشر معشار ما عليّ من واجباته "، وكأنه كان يريد لكل مواطن أن يكون (علي مبارك) آخر، فلا يكتفي بافتتاح المدارس أو اعداد المعلم الصالح، أو تيسير وسائل الثقافة للجميع، بل يلج ميدان التاليف لنرجى إلى الناس علمه ومعرفته، ويدلي اليهم برايه وفكره، فكانت اكثر كتبه مدرسية كتبت للمدارس أو للمبتدئين في دراسة العلوم الهندسية أو لنشر البسائط العلمية التي يحتاجها الناس في حياتهم، اما القليل منها فهي الاثر الخالد لجهده العلمي، ومن هذه الكتب المدرسية بترتيب ظهورها هي كالاتي:

1. تقريب الهندسة
2. حقائق الأخبار في اوصاف البحار
3. خواص الاعداد
4. تنوير الافهام في تغذية الاجسام
5. تذكرة المهندسين وتبصرة الراغبين
6. حروف الهجاء والتمرين على القراءة
7. الميزان في الاقيسة والمكاييل والموازين

ويعد علي مبارك في مجال التدريب رجل التربية والتعليم آنذاك في مصر، إذ كان يفكر في هذا الحقل تفكير أصحاب الرسالات، فهو يدرك المصاعب والعقبات التي تواجهه، وكذلك يعي ضرورة الصبر من اجل الوصول إلى الغاية المرجوة وذلك لان التربية عنده عملية تطور اجتماعي يزيد بكثير عن محو الامية وتعليم القراءة والكتابة، ولذلك فان التربية من الامور الصعبة التي يلزم لها زمنا طويلا لكي ترسخ، إذ أن هناك عادات وتقاليد واعتقادات سائدة في المجتمع، ولا يمكن تغييرها بسهولة بمجرد حلول افكار واعتقادات جديدة، وانما يلزم لها مدة طويلة لكي تستطيع الامم استيعابها وتطبيقها ومن ثم نبذ الافكار والاعتقادات القديمة [38].

---

[35] حسين فوزي النجار ، علي مبارك أبو التعليم ، المصدر السابق ، ص 116 .

[36] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص 243 – 245 .

[37] المصدر نفسه ، ص 246 – 248 .

[38] حسين فوزي النجار ، علي مبارك أبو التعليم ، المصدر السابق ، ص 116 .

ويمكن القول أن عملية التربية والتعليم عنده عملية تنموية اجتماعية شاملة، وهي تحضّر وحضارة يلزمها زمن حضانة العلم اللازم لنضج ثمراته، وليست قراءة وكتابة كما يراها الاخرون، بل هي بالدرجة الاساس المعلم القدوة والمقتدر على اجتذاب تلاميذه في شوق ورغبة إلى معرفة عالم العلم الجديد [39].

4. المجتمع:

أن المجتمع الفاضل في رأي علي مبارك هو مجتمع العلم والعدل، لان حياة الإنسان الروحية من حيث التدين متدرجة ولاسيما اذا كان مستنيرا بريئا من الخرافة في اطار العلم، فبالعلم يحقق الإنسان كجنس ثراء الدنيا والاخرة، اما العدل فانه الضمان كي يكون هذا الثراء في الدنيا عائدا إلى مستحقيه وصنّاعه، كما هو الحال مع ثراء الاخرة الذي يحكم في المولى سبحانه بالقسطاط المستقيم.

ويعد العدل عند علي مبارك نسبي، وهو في ذلك متفق مع كل المفكرين والباحثين، وهو يدل على عدل المرحلة التاريخية التي عاشها، والمجتمع الذي القى بثقله كي تعيشه مصر والشرق في ذلك الحين مرحلة التحول من اقطاع العصور الوسطى وتخلفها وظلماتها إلى المجتمع البرجوازي الحديث والمستنير بكل ما كانت تبشر به الطبقة الوسطى من صور مجتمعها البرجوازي الجديد والمنشود، فقد كانت تلك أحلام المستنيرين ودعاة التقدم في مجتمع لم يكن الفكر الاشتراكي أو تطبيقاته قد أصبحت فيه بعد قضية مطروحة على الناس والحياة [40].

وقد صوّر مفكرنا الكبير علي مبارك هذا المجتمع المنشود في صورة حديثة لمجتمع (المدينة الفاضلة) الذي كتب عنه (أبو نصر الفارابي) (260 – 339هـ / 874 – 950م) ومن نحا نحوه من المفكرين القدماء، ويعد العَالَم في فكر علي مبارك كما هو عند أصحاب (المدينة الفاضلة) " شخص واحد ذو اعضاء "، وفي هذا العالم مصالح خاصة ومصالح عامة، ولابد من تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة، ولاسيما وان المصالح العامة اذا دققنا النظر فانها تتضمن في داخلها المصالح الخاصة، وعلى الموقف من هذه القضية، قضية العلاقة بين المصالح العامة والمصالح الخاصة، وتغليب أي منها على الاخرى يتوقف الصلاح والفساد في هذا العالم [41].

ويضيف علي مبارك: " ولكي يتحقق هذا المجتمع القانوني الملتزم بالقانون فلابد أن يكون الحاكم والمحكوم امام هذا القانون سواء، بل وان يكون خضوع الحاكم للقانون مقدما على طلب الخضوع له من المحكوم، فالواجب على ولاة الامور أن لا يقطعوا في حكم إلا من القانون، ولا يكفي أن يحكم القانون إذ لابد أن يكون هذا القانون عادلا، لانه بغير العدل لا يتم صلاح، وهذه الصفة اكمل الفضائل لشمول اثرها، وعموم نفعها، واليها الاشارة بقوله (صلى الله عليه واله): (بالعدل قامت السموات والارض)، إذ لم يخلق الله تعالى احلى مذاقا من العدل [42].

ويقول علي مبارك: " أن ادارة الاعمال الدنيوية محتاجة إلى عملين، عمل بالابدان، وعمل بالأرواح، وقد فاوت الصنع الرباني بين الناس فجعل بعضهم اذكياء، والبعض اغبياء وكفل بعضهم بعضا، فكان اشتغال اذكياء الناس بالفكر في مصالحهم وتدبير ما تحسن به احوالهم، فلزم في مقابلة هذه الخدمة الروحانية أن يخدمهم بقية الناس بابدانهم، ويريحهم من تجشم الكلف في تحصيل مؤنهم، فظهر الفقر والغناء، وبموجب ذلك نجم بينهم التحاسد والتباغض والتعادي " [43].

---

[39] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص 251 .

[40] محمد عمارة،علي مبارك مؤرخ ومهندس العمران،المجلد الأول،الجزء الثالث،القاهرة 1916–1936، ص385 .

[41] المصدر نفسه ، ص386 .

[42] المصدر نفسه ، ص 276 – 277 .

[43] علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، المصدر السابق ، الجزء التاسع ، ص 58 – 60 .

ويقسم علي مبارك العمل إلى:

1. فكري ويدوي: ويرى في ذلك المنشأ للتفاوت الطبقي ويسمى الطبقة (وظيفة).
2. كذلك يدعو إلى أن تكون المفاضلة والتقدم والتاخر بناءً على العمل، وفي داخل اطار (الوظيفة) أي الطبقة، ولا يصح أن يمد أهل طبقة عيونهم إلى ما تتمتع به أهل طبقة أخرى.
3. والحارس لذلك هو جهاز الدولة وقوانينها الوضـــعية، ولما لم تكن في كبح جماح التحاســـد والتباغض والتعادي جاءت القوانين الدينية ووعاظها والداعون إلى الزهد وذم الدنيا، فكرسـوا جهودهم، ليثبت أهل القلة على اشـغالهم الشـاقة، ويكفوا عن معارضة المكثرين ومضاربتهم " [44].

ولا يرى علي مبارك في هذا المجتمع الذي يصـــوره هذا النص، العدل الذي تحدث عنه ودعا إليه، لأنه يرى أن وجود جهاز الدولة بمؤسساته القمعية القهرية، ويرى في استعانة الجهاز بمؤسسات الوعظ والزهد وذم الدنيا الدليل على اقتصار العدل والإنصاف، ويقول: " أن الناس لو انحازوا إلى العدل وحققوا الانصاف لما احتاجوا إلى اجهزة القمع هذه، ولو سلك الناس سبيل الانصاف لم يحتاجوا إلى شيء من ذلك " [45]، وكان المصلحون في هذا المجتمع يتطلعون إلى التقدم والى اسهام أصحاب رؤوس الاموال والمدخرات في تكوين الشركات المساهمة لتصنع في اقتصادنا ما صنعت مثيلاتها في اوربا البرجوازية، ودعا علي مبارك إلى أن تسلك مصر ذلك الطريق، ومارس عمليا وضع هذه الافكار في التطبيق عندما تولى نظارة الاشغال، فان الرجل وهو يختار هذا الموقف الاجتماعي، ويدعو إلى مجتمع برجوازي جديد يعلي من قيمة العمل وينشـــد قدرا من العدل النســـبي في اطار طبقات تتخذ من العمل والحرف والصناعات مجالا لتنافسها [46].

وكان علي مبارك مع مصـــلحي عصـــره والجيل المســـتنير الذي بدأ برفاعة الطهطاوي قد رأوا في المجتمع البرجوازي المســـتنير المهمة التي يجب الكفاح من اجل الانتقال بالبلاد اليها، لان النجاح فيها يعني التخلص من بقايا العصـــور الوســـطى، وتحقيق النموذج الاوربي ســـواء في التنمية الاقتصـــادية أو الاجتماعية أو في الاســـتنارة والتنوير دونما تعارض مع المواريث والموروثات الثانية وغير الدخيلة في تراثنا الفكري والديني [47]، واما موقف علي مبارك من المرأة فقد وقف موقف رجل الدين المسلم المتنور، في وقت ظهرت فيه آراء تأثرت بالدعوات الغربية لتحريرها من أصحاب الاتجاه الأول من قضية المرأة، وقد سبق رفاعة الطهطاوي كتاب الشـــرف جميعا إلى الحديث عن قضـــية المرأة تعليما وعملا، فهو منذ التاريخ الذي كتب فيه (تلخيص الابريز) [48] سنة 1830م قد اتخذ موقفا مناصرا لتحريرها من اسر العصور الوسطى، ولاسيما عندما عرض صورة المرأة الفرنسية، وبدد اوهام عصـــره ومجتمعه الشـــرقي حول اقتران التحرر والاختلاط بالانحلال والتخبط، فقد جاء بعده علي مبارك فكانت روايته (علم الدين) المكان الذي عرض فيه فكره عن قضية المرأة، وهي الرواية التي كتبت في نهاية خمسينات القرن التاسع عشر [49].

---

[44] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص 164 .

[45] محمود الشرقاوي و عبد الله المشد ، علي مبارك حياته ودعوته وارائه ، المصدر السابق ، ص88-89 .

[46] محمد دري الحكيم، تاريخ حياة المغفور له علي مبارك، طبع بالمطبعة الطبية الدرية ، مصر ، 1311هـ/1895م، ص48 – 51 .

[47] حسين فوزي النجار ، علي مبارك أبو التعليم ، المصدر السابق ، ص139-144 .

[48] روضـة المدارس ، العدد العاشر ، السنة الرابعة 1873م، مقال بعنوان (فيما يتعلق بالنسـاء من تعريبات قلائد المفاخر في غريب عوائد الاوائل والاواخر ، ص36-40 .

[49] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص 199 .

وانحاز علي مبارك إلى صـــف تحرير المرأة الشـــرقية وتطويرها في بعض القضـــايا، في حين وقف مترددا امام بعض القضايا الاخرى، ففي القضايا التي انتصر فيها للمراة كان واضحا وصريحا، اما مواقفه المترددة فقد اختار لتغليف التردد أو لتفادي الحرج وايثار السلامة أن يسوق آراء الفرقاء المتصارعين حول الصواب في هذه القضايا على ألسنة ابطاله في (علم الدين)، إذ انه قد وقف إلى جوار حق المراة في التعليم، بل كان اول ناظرا للمعارف ينهض بافتتاح المدارس الحكومية التي تتعلم فيها الفتيات علوم المنهج العام بعد أن اقتصر تعليمهن على الولادة منذ عصر محمد علي، و (الشيخ) بطل روايته قد تزوج من فتاة فقيرة غير متعلمة، فعلمها القراءة والكتابة حتى غدت ندا له في القراءة وتحصيل المعلومات [50].

ويعقد علي مبارك في روايته مسامرة كاملة (المسامرة الخامسة)، إذ يدير فيها حوارا بين الشيخ علم الدين وزوجته، فاذا الآراء الاكثر دقة والأقرب إلى الصواب تأتي جميعها على لسان الزوجة لا الزوج، وهنا نلاحظ دلالة هذا الموقف على تقدير علي مبارك لعقل المرأة الناضـــج وكفاءتها اذا هي حصّـــلت الأدوات وأخذت منها ما يأخذ الرجل [51]، وقد وقف علي مبارك من هاتين القضيتين من قضايا تحرير المراة (التعليم، و القدرات العقلية والكفرية) مع التيار التقدمي والثوري والمستنير، في حين نراه قد وقف موقف المتردد في قضيتي (تعدد الزوجات، ورفع الحجاب والاختلاط) [52].

واكتفى علي مبارك من قضـــية (تعدد الزوجات أو وحدانية الزوجة الواحدة) بعرض وجهات نظر الفريقين دون أن يحســم النزاع الناشـب بينهما، فقد كان لعلي مبارك آراء عن هذه القضـية سـواء في وضـعها التاريخي أو في واقعها الذي كان يجري على ضوئه النقاش، ومن هذه الآراء:

الراي الأول: يرى فيه أن تعدد الزوجات ليست خاصية اختص بها الشرق، ولا أمرا انفرد به الاسلام والمسلمون، بل هو عام ولم يمنعه إلا النصارى فقط، حتى أن من قبلهم كانوا يجوزون التعدد.

الراي الثاني: اما فيما يتعلق بالاسباب التي ادت تاريخيا إلى تعدد الزوجات، فيقدم عددا من الاسباب الواقعية والصادقة، فكثرة عدد النساء عن عدد الرجال بسبب الحروب كانت سببا من الاسباب، وكذلك رغبة الرجال في تعدد الزوجات كانت سببا آخر.

الرأي الثالث: وفيما يتعلق بموقف الاسلام من هذه القضية القديمة، فان علي مبارك يرى أن الاسلام قد التزم فيها موقفه المتميز الموقف الوسط، ففي الشريعة الموسوية كان التعدد مباحا بلا حدود، وفي الشريعة العيسوية كانت وحدانية الاقتران، فجاء الاسلام باباحته إلى اربع كموقف وسط بين التقيد بالوحدة وبين الاباحة دون حدود [53].

الرأي الرابع: يعترف فيه علي مبارك أن الواقع الراهن للمجتمعات الإسلامية قد خرج بهذا الأمر عن حدود النفع والصواب، وان التعدد غدا مصدرا لفساد اجتماعي تعاني من اثاره هذه المجتمعات.

واما فيما يتعلق بالحجاب فقد عرض علي مبارك نموذجين من الآراء، الأول: صـــورة المراة الاوربية المتعلمة المتحررة، وحجج المستشرق الانكليزي من خلالها ترى الدعوة إلى تحرر المراة من قيود الحجاب، ولانخراطها في شؤون في المجتمع جنبا إلى جنب مع الرجل، والثاني: اختيارات الشـيخ (علم الدين) واراءه عن الحجاب الذي يعصـم المراة والرجل ويقيد المراة، ترى من خلاله

---

[50] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص 201 .

[51] المصدر نفسه ، ص202 .

[52] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص 204 .

[53] المصدر نفسه ، ص 206 .

منطق التيار المحافظ على واقع القرون الوسطى وقيم عصر الاقطاع [54]، وقد عرض علي مبارك النموذجين دون أن يحسم الموقف أو أن ينحاز لاي منهما، وعندما يدور حوار بين (علم الدين) وصاحبه المستشرق الانكليزي حول هذه القضية (الحجاب ام الاختلاط)، نجد علي مبارك يعرض على لسان المستشرق، حجج المحدثين الراعين لتحرير المراة، فيقول: " أن التربية هي العاصم للمراة من الزلل، وهي حصن الشرف، وليس الحجاب في المنزل، إذ الحجاب لن يعصم النساء من الرذيلة، لان صلاتهن بالعالم واهل الرذائل فيه لن تقطعها جدران البيوت، وليس سوى التربية الحسنة عاصما وحصنا للمحجبات " [55].

وتطرق علي مبارك إلى جانب آخر من المجتمع، يتمثل (بالدين والحياة) فكان يدعو إلى جعل الدين الصحيح وسيلة من وسائل التربية والتقدم وتطوير الحياة لاهل وطنه ودينه، فكتب علي مبارك في هذا الموضوع الكثير من المقالات، ونشرها في مجلة اصدرتها مشيخة الازهر، وذلك اواخر القرن التاسع عشر، وكانت تحمل اسم (الازهر)، إذ دعا فيها دعوته تلك، وكان فيها عالما دينيا مستنير الذهن، وداعية مخلصا، كعادته دائما للتقدم عن طريق العلم، إذ خصصت مجلة (الازهر) القديمة صفحاتها لرجل التربية والتعليم الأول (المغفور له علي مبارك) الذي كتب بعض المقالات التربوية القيمة، ومنها مقالة تحت عنوان (مفاتيح الكنوز) [56]، وجاء في هذا المقال ما نصه: " والله سبحانه وتعالى لم يبح لنا من الافعال إلا ما يهمنا في صلاح ديننا أو دنيانا، وما لا يهمنا في شيء منهما أن كان فيه ضرر يلحق احدهما فحرام، والا فتركه والاغماض عنه احق واولى ".

ويذكر علي مبارك قول رسول الله (صلى الله عليه واله): (من حُسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه)، ويضيف قائلا: " انه طالما فكرت في الإنسان ومزاياه، وما اودعه الباري من الحواس المرشدة والنفس المفكرة والعقل المدبر، والبيان المصور، واللسان المعبر، والقوى المنفذة، والاعضاء العاملة التي يجمعها تصرف في انواع العالم، وبسط يده على كل الكائنات، وكان له السلطان الاعظم على ما في الارض، مع ما به من الضعف وتزاحم العلل والاغراض وكثرة الحاجة وقصر الحركة، وهو متصرف بجميعها عن وجهتها منحرف بها عما خلقت لاجله، والباري لم يركب فيه تلك القوى وهذه الالات إلا ليجعلها عوامل تحت سلطة التمييز والتدبير يصرّفانها بمعيار الحكمة في مجاري ثمرات ما احاطه من الكائنات وجعله حوله من كنوز الخيرات ".

ويرى علي مبارك أن على الإنسان أن يعمل طبق ما يحقق حكمة الباري فيه مع انه لم يكلفه أن يأتي إلا بما في وسعه من العمل، وسخر له ما تعجز عنه قدرته وتقصر دونه همته، ولم يبق له إلا ما هو بموازاة امكانه كما اشير إلى ذلك في قوله تعالى: **((فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29)))** [57]، وقهر جميع الكائنات وجعلها مادة صنع حواسه التي هي سبل عمله ومجاري تفكيره في هذا العالم، ففي قوله تعالى: **((وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78)))** [58]، فالشمس والنجوم والهواء والماء والحيوان والنبات والتراب وسائر الموجودات على اختلاف انواعها وتباين خصائصها مخلوقة ومذللة لفائدة الإنسان ومصلحته، وقد امن عليه الخالق بذلك في مواضع شتى من كلامه المقدس فقال:

---

[54] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص 207 .

[55] المصدر نفسه ، ص 208 – 210 .

[56] علي مبارك ، مفاتيح الكنوز ، مجلة الازهر ، العدد 21 ، يونيو 1891م ، ص23 ، نقلا عن كتاب محمود الشرقاوي و عبد الله المشد ، علي مبارك حياته ودعوته وارائه ، المصدر السابق ، ص179 .

[57] سورة عبس ، الاية : من 24 إلى 29 .

[58] سورة النحل ، الاية : 78 .

((وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13))) [59]، وقال تعالى: **((وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (32)))** [60]، وقال تعالى: **((وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (33) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34)))** [61]، وهكذا مضى علي مبارك يعالج موضوع العقل البشري، ويرسم سبل الصراط المستقيم كما وضحها الله تعالى في كتابه العزيز، ولا سبيل إلى الاتيان بالاعمال الحسنة إلا حيث يتثقف العقل بانواع المعارف الحقة ويهذب بالتربية والاداب فاذا تم هذا للمرء اتى باعمال تامة الحسن رائقة الصنع، رائعة الابداع،

ما وهب الله لامرئ هبةً احسن من عقله ومن ادبه

هما حياة الفتى فان فقدا ففقده للحياة اليق به ! [62]

وتحدث علي مبارك في مقال آخر نشره في المجلة نفسها عن العدل العام، وكيف انه بالعدل قامت السماء والارض، فقال: " فبالعدل تخصب الارض، وتثمر الاموال، وتنظم الاحوال وتدر الارزاق، ويزول الشقاق، وبه يستقيم الدين، ويقوى حبله المتين، وذلك أن الشرع لا يحفظ إلا بالسلطان الذي يحرسه ويذب عن حرمه، كما أن السلطان لا بقاء له إلا بالدين القويم إذ هو طريق العدل المستقيم،

فالدين بالملك يقوى والملك بالدين يبقى

فاذا قاد الامة راعيها بازمّته، ونهج شرعته، اتصلت الاسباب، وتفتحت الابواب، وسهل كل عسير في الزمن اليسير، وراجت الامور، وذهبت الشرور، ووافى السرور، والتأمت القلوب، وانجلت الخطوب، وغرست في الافئدة، وصمدت على مر الايام، سيرته " [63]، ويقول علي مبارك: " لا يخفى أن تربية الملل – أي الشعوب – امر صعب يلزم لها زمن طويل لان هناك عوائد قديمة، واخلاقا راسخة في الاذهان ذميمة، وافكارا فاسدة، واعتقادات كاسدة، فلا تزول بمجرد بعض التجددات، بل تبقى عند الشيوخ ومن قرب منهم في السن إلى الممات، بل ربما ورثها عنهم بعض الراشدين من الشبان، فلا تنعدم بالكلية إلا بعد انقراض جميع هؤلاء أو اكثرهم، فعلى حكم العقل يلزم التربص إلى انقضاء ثلاثة اجيال، أي مائة سنة أو مائة وخمسين سنة " [64].

وتأسيسا على ما تقدم يمكن القول أن علي مبارك يكاد يكون داعية جهير الصوت إلى الحياة الاوربية والى نمط من السلوك الذي يعرفه من حياتهم، فهو يشرح بإسهاب نظام (المسرح الاوربي) ويشيد بفائدته في التهذيب والتربية وضرورته لحياة الناس في الثقافة والترفية والتعليم واتخاذ العبرة، وكذلك يشرح بالتفصيل الرضا انماط الحياة الاوربية في الحديث والحركة واللباس، وآدابهم في الاجتماع والطعام [65]، ويمكن القول أن من الدعوات التي يعتقد ان علي مبارك سبق بها عصره هي ثمره من ثمرات

---

[59] سورة الجاثية ، الاية : 13 .

[60] سورة إبراهيم ، الاية : 32 .

[61] سورة إبراهيم ، الاية : من 33 إلى 34 .

[62] مجلة الازهر ، مقال ، عدد : المحرم من سنة 1381هـ/يونيو 1961م، نقلا عن محمود الشرقاوي وعبد الله المشد ، المصدر السابق ، ص182 .

[63] علي مبارك ، العدل ، مجلة الازهر ، العدد محرم 1381هـ / يونيو سنة 1961م ، نقلا عن محمود الشرقاوي وعبد الله المشد ، علي مبارك حياته ، المصدر السابق ، ص183 .

[64] علي مبارك ، علم الدين ، الجزء الأول ، المصدر السابق ، ص318 .

[65] محمود الشرقاوي و عبد الله المشد ، علي مبارك حياته ودعوته واثاره ، المصدر السابق ، ص164 .

تعليمه الاوربي واتصاله بالحياة الغربية، هو انكاره على أهل الشرق انسياقهم إلى ما يدعوهم إليه (أهل الزهد والورع) من الانصراف عن الجد والكد والعمل الدائب والسعي القوي المثابر [66].

وكان لهؤلاء الدعاة في القرن الماضي من السطوة والسيطرة على مشاعر الناس وعواطفهم ما لا نستطيع أن ندرك مداه، لذلك نجد دعوته للتمرد على سطوة هؤلاء وسيطرتهم دعوة قائمة على العبارة اللينة والاشارة البينة [67]، ودعا علي مبارك إلى فهم الأدب الاوربي ومستحدثات فنونه في الفكر والانتاج الذهني كالقصة والتمثيل، ولم تكن دعوته إلى هذا الأدب والفن دعوة مجردة، بل كان يصحبها العمل الجدي، فنجد في ترجمته (محمد افندي عثمان الونائي) وهو احد معاصريه الذين استكتبهم تاريخ حياتهم وضمنها كتاب الخطط التوفيقية، نجد في هذه الترجمة أن صاحبها نقل إلى العربية كتاب قصص (لافونتين) المشهور في الأدب الفرنسي وسماه (العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ)، وهذا الكتاب (لافونتين) كما تعرف قصص صاغها على اللسنة الحيوان، كما ترجم الونائي القصة التي عرفها قرّاء العربية بعد ذلك من ترجمة مصطفى لطفي المنفلوطي وهو (بول وفرجيني) وخلع الونائي على بطليها اسمين عربيين طريفين قريبين من اسمي بطليها فسمى ترجمته لهذه القصة (قبول وورد جنة) [68].

5. الوطنية:

تعني كلمة وطن اصطلاحا الواو والطاء والنون كلمة صحيحة، فالوطن: محل الإنسان، واوطنت الارض، اتخذتها وطنا [69]، ولم تكن الوطنية عند علي مبارك تعصبا، ضيق الافق لاقليم من الاقاليم أو وطن من الاوطان حتى ولو كان الوطن هو مصر التي اخلص لها واحبها، وانما الوطنية عنده موقف يصدر صاحبه من عشق للحضارة فيندفع عاشقا لموطنها ومهدها، من هنا كانت الوطنية عنده كما تمثلت في حبه لمصر موقف حضاريا ونزعه لا تعصبا ضيق الافق لاقليم من الاقاليم [70]

وتبدو اهمية فكر علي مبارك في الوطنية بوصفه احد مفكري الوطنية في تراثنا الحديث، اولئك الذين كان الطهطاوي رائدهم في اعادة مصطلح (الوطنية) ثانية إلى ادبنا السياسي وقاموسنا الفكري بعد أن اهملته عصورنا الوسطى ولاسيما (المملوكية والعثمانية) عندما قسمت البشر على اسس دينية، وأسقطت حدود الاوطان والقوميات والحضارات، فجاءت هذه المدرسة المستنيرة الحديثة للتحدث عن (الوطن) وعن علاقة (المواطنة) التي تجمع ابناء الامة الواحدة، وتؤلف بينهم بصرف النظر عن المذاهب والأديان التي يتمذهبون ولها يدينون – فكانت طورنا جديدا في الفكر، عكس الطور الجديد الذي دخل فيه الإنسان العربي طور العصر الحديث [71].

ويقول علي مبارك في الوطنية: " أن المدافعة عن الوطن واجبة على العموم لا فرق فيها بين مالك ومملوك وشريف وصعلوك !... ولقد صح الحكم بان مصر كانت ينبوع علوم الدنيا، ومعدن كثير من خيراتها، وان اهلها هم الذين اوصلوا نوع الإنسان إلى أن تنقاد إليه اثار القدرة الالهية !... والمصريون هم اقرب الناس إلى الاصلاح واسرعهم تقدما في سبيل الفلاح، اذا وجدوا حاملا على ذلك... وقديما قيل: من علامات الرشد أن تكون النفس إلى بلدها تواقه، والى مسقط راسها مشتاقة ! " [72]،

---

[66] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الثاني ، ص 140 .

[67] سعيد زايد ، علي مبارك واعماله ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1957م ، ص45-47 .

[68] علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، المصدر السابق ، الجزء السابع عشر ، ص 64 – 65 .

[69] أبي الحسين الرازي ، معجم مقاييس اللغة ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، المجلد الثاني ، ص 636 .

[70] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص 22 .

[71] سعيد زايد ، علي مبارك واعماله ، المصدر السابق ، ص29-30 .

[72] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص 23 – 24 .

ويمكن القول أن الوطنية عند علي مبارك موقف يعبر عنه ويجسده العطاء، عطاء المواطن لوطنه مهما اختلفت وتعددت صور هذا العطاء، لانها قد نبعت من العطاء، عطاء الوطن غير المحدود للذين اقلتهم ارضه واظلتهم سماؤه للمواطنين، فهي علاقة (جدلية... متبادلة)، ومن ثم فانها عنده مرتكزة إلى فلسفة تحكمها، بل وتحكم كل ظواهر هذا الكون الذي نعيش فيه... فبقدر ما تعطي السماء الارض، تعطي الارض السماء، وعلى قدر هبة الواهب يجب أن يقدم الموهوب له البديل والمقابل والجزاء، وهكذا وجبت الوطنية، أي استحق الوطن أن يسدد له الابناء بعض الدين الذي داينهم به منذ المولد، بل وقبل أن تشرق عليهم شمس الميلاد... انها تعبير عن قانون الوحدة والتفاعل والتاثير والتاثر في هذا الوجود، ويعد علي مبارك الوطنية عطاء تجعل (الوطني) متسقا مع القانون الذي يحكم ظواهر الكون وقواه ومكوناته، اما غيره فهو الشاذ الناشز، الخارج عن قانون الحياة والاحياء، بل وعن سنّة الجمادات والنباتات، والحنين إلى الوطن مظهر معبر عن هذه القوة التي تمتلك الإنسان قوة (الوطنية) ففي الغربة يهيم الشيخ (علم الدين) عندما يتذكر وطنه، وليس ذلك بالامر الغريب، فلقد قيل: من علامات الرشد أن تكون النفس إلى بلدها تواقه والى مسقط راسها مشتاقة ! [73].

ويضيف علي مبارك في فهمه للوطنية قائلا: " وحتى الذين اصابت الوطنية عندهم العلل والامراض، فمالوا إلى الغزاة الفرنسيين عندما قدموا تحت قيادة بونابرت سنة 1798م فدخلوا تحت طاعة الفرنسيين وانظموا اليهم، من القبط المصريين ونصارى الشام ومن بقي من المماليك الذين كانوا بمصر قبل دخول الفرنسيين اليها، ثم رحلوا مع الغزاة المنسحبين سنة 1801م عندما راوا أهل مصر يتوعدون كل من دخل زمرة الفرنساوية بالقتل وبغيره، حتى هؤلاء المرضى يلتقي الشيخ (علم الدين) ببعض منهم في رحلته بمرسيليا وباريس فيشهد ندمهم وعودة (الوطنية) صحيحة معافاة إلى قلوبهم وعقولهم فيحدثونه كيف أن حب الوطن لا يبرح من بالنا وافكارنا لا تفتر عن ذكر اهلنا ولو كنا نعلم الغيب لما كان الذي كان [74].

المبحث الثاني: واجهات الإصلاح عند علي مبارك:

ادرك علي مبارك أن الاصلاح الذي ينشده كان لابد من تحقيقه من ادوات ووسائل يمكن بواسطتها الوصول إلى الهدف المنشود إلا وهو تطور المجتمع ووصوله إلى حالة من التقدم والرقي، ونتيجة لدراسته في فرنسا واطلاعه المباشر على التطور والتقدم الحاصل فيها ومقارنةً مع واقع شعبه في تلك المرحلة الزمنية في القرن التاسع عشر، وادرك أن خير وسيلة لتحقيق ما يصبو إليه هو اعتماد ادوات ووسائل يمكن بها تحقيق ذلك الهدف الكبير، ووجد أن اول تلك الوسائل هو الترجمة ثم الصحافة ثم التاريخ، وسنتناول هذه الوسائل كاللاتي:

1. الترجمة:

وبدأت في عهد محمد علي باشا، فقد ادرك منذ اللحظة الاولى أن التطور الذي تشهده اوربا كان نتيجة الإلمام بالعلوم والمعارف الكثيرة، فقد اتجه محمد علي إلى استخدام الموظفون الأجانب، ولكنه كان يدرك مدى الاثار السلبية التي يخلفها الأجانب على هيكل الدولة إذ انهم أرهقوا ميزانية الدولة، بسبب النفقات التي تنفق عليهم، فهم يتقاضون مرتبات باهظة كما أن كثيرا منهم يجهلون اللغة العربية فيتعين لهم مترجمون ليكونوا عونا لهم في عملهم [75].

ورأى علي مبارك أن علوم الغرب وحكمته وخططه قد سيطرت كلها أو معظمها في كتبه التي وضعها علماؤه ومؤلفوه، فكانت الخطوة الاولى أن يمهد السبل لترجمة الكثير من هذه الكتب إلى العربية أو التركية، ليسهل على ابناء البلاد الاطلاع عليها

---

[73] المصدر نفسه ، ص 25 .

[74] المصدر نفسه ، ص 26 – 27 .

[75] جمال الدين الشيال،تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي،دار الفكر العربي،بمصر،1951م،ص7.

والافادة منها، فقد عهد بذلك لكثير من الاجانب بترجمة بعض الكتب، غير أنهم كانوا يتلكئون أو يهملون عملهم حتى ليتم احدهم عمل ستة اشهر في خمس سنوات [76]، فاستعان في بادئ الأمر بالايطاليين لان الايطالية كانت لغة المشرق في ذلك الوقت، ثم بالفرنسية، فقد ترجمة إلى العربية كتب مدرسية وادبيات فنية، كما ترجمت الكثير من الكتب إلى اللغة التركية، وبالرغم من ذلك فقد كان عدد هؤلاء المترجمين قليلا، وخبرتهم محدودة، وكذلك عدد الكتب المترجمة لا يفي بالغرض [77].

وراح مبارك يلتمس طريقة أخرى لينقل بها علوم الغرب إلى بلده، فاوفد عدد من أهل البلاد إلى أوربا، ليتمكنوا من الدراسة والاطلاع على علوم الغرب وبلغة البلاد التي يوفدون اليها، حتى إذا عادوا إلى مصـــر تمكنوا من الاحلال محل الاجانب في الوظائف المختلفة، وفي تعليم ما درســوه لابناء امتهم، وفي ترجمة الكتب الغربية، ولذلك فقد ارســل محمد علي البعثات إلى اوربا الواحدة بعد الاخرى، قد عاد الكثير من اعضـاء هذه البعثات وافادوا الفائدة الكبرى، وحققوا اغراض محمد علي وحملوا العبء عن الاجانب [78].

ونشـــطت حركة الترجمة بفضـــل جهود طلاب البعثات ولرغبة محمد علي في معرفة الاوربيين والاطلاع على مؤلفاتهم العلمية والادبية ونشر الحضارة الغربية، فقد وصف عصره من جهة النهضة العلمية بأنه عصر الترجمة والتعريب [79]، وبدأ محمد علي بالتفكير في الناحية الاخرى من الاصـلاح فأرسل في المدة (1809 – 1816م) بعثات مختلفة إلى ايطاليا، فالاصـلاح يعتمد على ركنين اساسـيين في سـياسـة محمد علي باشـا إلا وهما البعثات والمدارس، فانشـأ المدارس الواحدة بعد الاخرى حسـب حاجة البلاد لها، وكذلك تحديد اللغات الاجنبية التي تدرس في هذه المدارس [80].

وانشأ علي مبارك لديوان المدارس مطبعة لطبع الكتب المدرسية لينتفع بها التلاميذ الذين يتبعون الديوان، وقد ساهمت هذه المطابع في نشـر التعليم، وسـهلت نيل موارده لطلابه [81]، وشـارك علي مبارك في حركة الترجمة مع (محمد افندي ابن احمد عبد الرزاق) فقد ترجما كتاب (خلاصـة تاريخ العرب) الذي الفه العالم (سيدو – Sedeillot) [82]، إذ ترجم بعض فصوله (محمد افندي ابن احمد عبد الرزاق) أحد المترجمين بقلم الترجمة ديوان المعارف، وأحد معلمي اللغة الفرنســـية في ذلك العهد، وترجم البعض الآخر وراجع الكتاب كله علي مبارك، وهذا واضـح من مقدمة الكتاب التي قال فيها [83]: " انه لنفاسـة هذا الكتاب اردت نشـره بين ابناء الوطن، فامرت بترجمته وانا ناظر على ديوان المعارف سنة (1285هـــ / 18م) المرحوم محمد افندي ابن احمد عبد الرزاق، أحد المترجمين بقلم ترجمة الديوان ومعلمي اللغة الفرنسية بالمدراس الملكية المصرية فترجمه، ثم امرت اساتذة بقراءته فقرءوه واعلنوا

---

[76] عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم في عصر محمد علي ، القاهرة ، 1938م ، ص328–332 .

[77] ز.ل. ليفين ، الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث في لبنان وسوريا ومصر ، ترجمة : بشير السباعي ، ط1 ، دار ابن خلدون ، بيروت ، 1978م ، ص22 .

[78] جمال الدين الشيال ، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ، المصدر السابق ، ص9 .

[79] جاك تاجر ، حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر ، القاهرة ، د.ت ، ص106 .

[80] جمال الدين الشيال ، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ، المصدر السابق ، ص16 .

[81] المصدر نفسه ، ص90 .

[82] وهو مستشرق فرنسي من مؤرخي القرن التاسع عشر ، وهو مستشرق منصف للعرب وتاريخهم وحضارتهم ، وقد ترجم المرحوم الاستاذ عادل زغير هذا الكتاب مرة أخرى تحت عنوان (تاريخ العرب العام) ينظر : علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، المصـدر السـابق ، ج9 ، ص58 .

[83] سعيد زايد ، المصدر السابق ، ص91 .

بفائدة طبعه، فامرت بطبعه، ثم تخليت عن نظارة الديوان فوقف الطبع، وحفظت الترجمة في الكتبخانة الخديوية، ثم عدت إلى نظارة الديوان سنة (1305هـ / 1889م) فوجدت به ابوابا لم تترجم، واخرى لم تستوف حقها من الترجمة، فترجمنا ذلك وصححنا الكتاب، وقابلناه على الاصل كلمة كلمة، ثم كلفنا به العالم التحرير الشيخ عبد الله ابن العلامة المرحوم الشيخ السيد الشرقاوي الشرشيمي المتوفى سنة 1288هـــ، وامرنا أن ينشئه انشاءً عربيا فصيحا، فاخذ ينشئ ويقرا علينا ما كتبه بخطه، ثم صححنا أسماء البقاع والرجال، وقابلناها على الاصل الافرنجي وسميناه (خلاصة تاريخ العرب)، فجاء بحمد الله كتابا مبارك الطالع، ترتاح له المسامع، كما أن شموس النجاح عليه طوالع، لم يدع كبيرة ولا صغيرة من تاريخ العرب إلا احصاها، ولا شاردة من شوارد فضلهم إلا ردها لاهلها وكشـــف القناع عن محياها مع النزاهة عن وصـــمة العيب والتبرئة عن مثل ما يأتي به الكثير من المؤرخين رجما بالغيب، ورجائي به أن يكون لابناء الشرق وعلى الخصوص المصريين دليلا مرشدا يروي لهم من محاسن ابائهم الاولين حديث محمد (ص) لا يزال مدى الايام مخلدا " [84]، ويتكون هذا الكتاب من (314) صـــفحة من القطع المتوســـط، وطبع في مطبعة محمد افندي بحوش قدم سنة (1309هـ / 1893م).

2. الصحافة:

انشأ مفكرنا علي مبارك مجلة (روضة المدارس) في سنة 1870م، وكان آنذاك مديراً لديوان المدارس، فهي صحيفة ديوان المدارس تنفق عليها الحكومة، وكان الغرض من انشـــائها النهوض باللغة العربية واحياء آدابها ونشـــر المعارف الحديثة [85]، وابتعدت المجلة عن الناحية السياسية كما تذكر المقدمة: " وقد تنزهت صحيفتنا هذه مما سوى ما يخص نشر فائدة علمية ومحمدة اثرية مما يقع عليه الاختيار ولا ضرر فيه ولا ضرار فليس من وظائفها تقييد الاحوال السياسية الوقتية والافعال الرئاسية والادارية "، واما موضـــوعات هذه المجلة وكتابها فقد ذكرت المقدمة انه: " قد تكفل لها عدد من العلماء والاســـاتذة والفضـــلاء الجهابذة بامداد رسائل مؤلفة جديدة ونبذ مصنفه مفيدة من فنون وعلوم مختلفة ومسامرات من مستحسن الحكايات والأخبار مقتطفة وبعض تراجم من لغات كثيرة واخراجها في قالب سهل من اساليب العربية، وصار كل منهم يرسم عضو تاسيسي يتشكل به جسم هذه الصحيفة مندوبا من طرف الديوان لرفع شعاراتها " [86].

وقد احتوت هذه المجلة إلى جانب بعض قصائد الشعر والقصص القصيرة والمقالات العلمية على مؤلفات هؤلاء العلماء تنشر فيها فصـلا فصـلا، فاذا اكتملت هذه الفصـول كونت كتابا مفيدا في أي علم من العلوم العلمية أو الادبية ولم يظهر فهرست لهذه الموضوعات إلا ابتداء من العدد الثالث، وقد نشر في العدد الأول من هذه المجلة على سبيل المثال بعض فصول من الكتب الاتية: (حقائق الأخبار في اوصـــاف البحار) لعلي مبارك، و (اثار الافكار ونثورة الازهار) لعبد الله بك فكري، و (الصـــحة التامة والمنحة العامة) لمحمد بدر افندي مدرس علم الامراض الباطنية بالمدرســـة الطبية، و (المباحث البينات فيما يتعلق بالبنات) لمحمد افندي ندا المدرس بالمدرسة الطبية.

---

[84] سعيد زايد ، المصدر السابق ، ص92 .

[85] إبراهيم عبده،تطور الصحافة المصرية واثرها في النهضتين الفكرية والاجتماعية،المصدر السابق،ص61 – 62 .

[86] مجلة روضة المدارس،السنة الاولى،العدد الأول،السبت 15 محرم 1287هـــ/17 ابريل 1870م،ص5 – 6 ، نقلا عن كتاب دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني ، المصدر السابق ، ص167 .

ودأب علي باشا مبارك على أن يضم الكتاب للروضة حتى بعد صدورها، كما ارسل الديوان إلى المدارس يطلب منها أن يبادر النظار والاساتذة بارسال ما يرون نشره وذلك اولا باول لديوان المدارس، ويقوم الديوان بارساله إلى الصحيفة [87]، وليس ادل على قيمتها الادبية والعلمية من أن يطلب قلم الوقائع من ديوان المدارس نسخـــتين أو ثلاث منها مجانا باســـم العلم لأخذ بعض موادها لاعلانها بصحف الوقائع المصرية [88].

وكانت روضة المدارس تصدر مرتين في الشهر ويطبع من كل عدد منها 350 نسخة زيدت فيما بعد إلى سبعمائة، وقد استمرت الروضة في صدورها ثمان سنوات افادت فيها ابناء الوطن فائدة جليلة، فهي اول مجلة مصرية تعنى بالعلوم والاداب إلى جانب العناية بشؤون المدرسين واخبار الامتحانات والحفلات الخاصة بها، وكذلك الاعلانات عن بيع الكتب وفتح المدارس، ولاشك أن وجود هذه المجلة في عصر اسماعيل رغم ابتعادها كلية عن السياسة، فانها كانت لها تاثيراتها الثقافية العميقة على تقديم جيل من القراء والدراسين والباحثين في عصر اسماعيل، وكان اسماعيل يعتقد أو اواخر عهده أن من الافضل منح الصحافة حرية تامة لتساعده ضد التدخل الاجنبي، ولم يفكر قط في أن هذه الصحافة ستقوم بنقد تصرفاته الشخصية واسرافه وطريقته في الحكم، وكانت الصحف في الوقت نفسه تهتم بالسياسة الخارجية وقد ادى ذلك إلى تحطيم الحواجز والسدود امام التفكير المصري السياسي ومكنه ذلك من متابعة الاحداث السياسية العالمية، وقد ترك اسماعيل الحرية للصحفيين في كتابة المقالات عندما كان يريد مساعدة من الصحافة، ولكنه ما كاد يشعر بشيء من استعادة القوة امام الدول الاوربية حتى يصدر امره بمعاقبة الصحفيين واغلاق صحفهم [89].

3. التاريخ:

اتخذ رفاعة الطهطاوي من التاريخ اداة مهمة ورئيسة من ادوات الاصلاح الذي بواسطته تمكن من اكتشاف الذات العربية التي حققت له اصالته بالواقع وعدم التنكر له، وعدم الانبهار بأوربا بكل قيمها وعلومها، وبالتالي ساعده التاريخ في صياغة وتبلور مفهوم الاصـــلاح لديه أو الذي قام على اســاس التوفيق بين علوم الغرب وتراث وطنه وأمته [90]، وقد جاء علي مبارك بعد رفاعة الطهطاوي فنهج المنهج العلمي الذي ســار عليه الطهطاوي في كتاباته التاريخية، فاســتطاع علي مبارك من أن يســير على هذا المنوال بعين ناقدة وعقل فاحص والمنهج العلمي في تميز الصواب من الخطأ عندما يعرض لروايات المؤرخين، مسلحا بالاضافات التي منحها له عصره وميزته بها ثقافته، وذلك بعد أن احاط باثار من سبقه من كبار المؤرخين الذين كتبوا في مختلف الفروع التي عرض لها فيما كتب من تاريخ [91].

ويتجلى اثر التكوين العلمي لثقافة علي مبارك في دراســـته لتكوين وادي النيل في كتابه (نخبة الفكر) فيعرض لنا تكوين وادي النيل بواســطة النهر وطميه على مر العصــور، فيعرض القوانين العلمية والحقائق الجيولوجية المتعلقة بطبيعة التربة، والمواد

---

[87] دار الوثائق ، دفتر 428 ، ج4 ، صــادر الفروع والدواوين بديوان المدارس ، ص9 ، رقم 366 ، إلى حضــرة مصــطفى بك وهبي ناظر اقلام الداخلية في 27 محرم سنة 1287هـ / 29 ابريل سنة 1870م ؛ دفتر 428 ، ج4 ، ص47 ، رقم 380 ، إلى حضرة محمد افندي عثمان مترجم ديوان البحرية بالاسكندرية ، في 7 صفر سنة 1287هـــ / 9 مايو 1870م ، نقلا عن كتاب دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي .

[88] دار الوثائق ، دفتر 433 ، ج3 ، وارد ديوان المدارس ، ص2 ، رقم 18 ، من قلم الوقائع إلى ديوان المدارس ، في 3 صفر سنة 1287هـ / 5 مايو 1870م .

[89] سامي عزيز ، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزي ، القاهرة ، 1968م ، ص24– 29 .

[90] المصدر نفسه ، ص146 .

[91] علي مبارك ، نخبة الفكر في تكوين نيل مصر ، المصدر السابق ، ص 27–28 .

التي يحملها ماء النيل في قبضاته، ويتخذ من كل هذه الحقائق ادوات لتحديد زمن التكوين وأدواره وكيفيته، فيؤسس النشأة والعمران على حقائق علمية وما اكتشف من نظريات [92].

ويمكن أن نضع علي مبارك ضمن المدرسة المستنيرة من المؤرخين الذين اعطوا اهمية كبيرة للعامل الاجتماعي في رصد العوامل المحركة للتاريخ، فاقترب اقترابا كبيرا من المنهج العلمي والاجتماعي بالتاريخ [93]، وقد شهد القرن التاسع عشر بداية ظهور حركات جديدة في مجال الكتابات التاريخية، وقد لعبت المؤثرات الجديدة دورها في هذه الحركات، إذ كان الانفتاح على اوربا، كما كان لظهور الطباعة والصحافة وازدياد انتشار الكتب والتقدم الواسع في علم الاثار وما نجم عنه من ازدياد معلومات المؤرخين، واشتداد الوعي العربي، ونمو الشعور القومي اثره الفكري في تشجيع حركة التاليف التاريخي، فقد تنوعت الموضوعات التاريخية في تلك الحقبة، وكذلك عودة مدارس الكتابة والتاليف من جديد، وان رائد هذه الكتابة التاريخية في مصر هو رفاعة الطهطاوي، إذ كان (الجبرتي) يمثل المدرسة التاريخية في القرن الثامن عشر، فان الطهطاوي يمثلها بحق في القرن التاسع عشر [94].

وقد ذكر علي مبارك ما اصاب هذه المنشات من تطور خلال العصور، ولم يجد علي مبارك حرجا في ايراد التفاصيل عن تاريخ مصر القديم معتمدا على ما اصاب علم الاثار من تقدم في ذلك الوقت ولاسيما حل رموز اللغة الهيروغليفية، وكانت مصادر في هذا ما كان بنشر باللغة الفرنسية فضلا إلى المصادر العربية التقليدية [95]، وقد سار علي مبارك المؤرخ على هذا النحو فيما كتب من تاريخ، ففي كتابه (نخبة الفكر في تدبير نيل مصر) وعلاقتها بنهر النيل والحضارة التي نشأت على ضفافه، والاطوار التي مرت بها اجتماعيا وسياسيا وحضاريا، والقاعدة المادية للمجتمع وعلاقتها بالابنية العلوية فيه، وترى جميع ذلك وحدة موضوعية هي عنده الموضوع الذي يؤرخ له.

وكان لواء الريادة في مدرسة التاريخ الحديث قد عقد للطهطاوي، فهو قد أرخ في الستينات، بينما ارخ علي مبارك في السبعينات والثمانينات من القرن التاسع عشر [96]، ويرى الدكتور محمد عمارة أن علي مبارك قد سبق الطهطاوي بالفصول التي كتبها في التاريخ بكتابه (علم الدين) الذي ألفه في نهاية الخمسينات من القرن التاسع عشر، فان علي مبارك قد تميز بضخامة ما ترك من اثار فكرية في علم التاريخ، كما امتاز كذلك بانفراده بالتأليف في (الخطط) منذ عصر المقريزي (766 – 845هـ / 1364 – 1442م) حتى القرن التاسع عشر، بل ولا يزال فريدا ووحيدا في هذا الميدان حتى الان.

ولم ينفرد علي مبارك فقط باقتحام هذا الميدان، ويتفرد فيه منذ عصر المقريزي، بل كان اضافة جديدة ومتميزة لمؤرخي (الخطط) في تراثنا العربي وتاريخنا الاسلامي الطويل، فهو مهندس يحقق بعلم الهندسة اقوال القدماء ورواياتهم عن الاثار والعمائر والمنشات، وكذلك صاحب حاسة نقدية يقارن بالمأثورات، ويحقق المرويات، ويرشح اصح الاقوال والاستنتاجات، وهو شاهد عملي أيضا، ينزل بنفسه أو بمن استعان بهم إلى ارض الواقع فيحقق على الطبيعة روايات المؤرخين[97].

---

[92] المصدر نفسه ، ص 28.

[93] محمود الشرقاوي و عبد الله المشد ، علي مبارك حياته ودعوته وآثاره ، المصدر السابق ، ص119.

[94] عماد عبد السلام رؤوف ، محاضرات كتابة التاريخ العربي في العصر العثماني ، المصدر السابق ، ص20 .

[95] عماد عبد السلام رؤوف ، محاضرات التاريخ العربي ، المصدر السابق ، ص21 .

[96] محمد عمارة ، علي مبارك مؤرخ ومهندس العمران ، المصدر السابق ، ص 216 .

[97] المصدر نفسه ، ص 218 .

ويعد علي مبارك خير من استفاد من موسوعة (وصف مصر) بعد رفاعة الطهطاوي، وهذه الموسوعة وضعها علماء الحملة الفرنسية الذين صحبوا بونابرت وجيوشه، ودونوا فيه بالكلمة، والرسم، والخارطة، تاريخ مصر واثارها وحضارتها ومجتمعها وانسانها منذ اقدم العصور، بل لجأ إلى علماء اللغة المصرية القديمة فاستفتاهم فيما غمض عليه من بعض وقائع تاريخها القديم [98]، ويمكن أن نجد في علي مبارك المؤرخ عددا من السمات التي تجعلنا نضعه ضمن المدرسة المستنيرة من المؤرخين الذين أعطوا العامل الاجتماعي اهمية كبيرة في رصدهم للعوامل المحركة للتاريخ، فاقتربوا اقترابا شديدا مما نسميه اليوم بالمنهج العلمي والاجتماعي في التاريخ.

وادرك علي مبارك ادراكا جيدا دور العوامل المادية وفي مقدمتها الضرورات الانسانية في صناعة مظاهر التقدم الفكري والحضاري في المجتمعات، فالسبب الاساسي والأصلي في انتقال الإنسان بقوة فكره وغزارة عقله، من حالة إلى حالة ومن فكرة إلى فكرة، حتى وصل إلى ما نراه اليوم في مختلف فروع العلم والمعرفة، والسبب الاساسي في ذلك التطور والارتقاء الفكري هو ضرورات الإنسان واحتياجاته وميله لحب الانتفاع والوقاية الشخصية [99]، ويرى علي مبارك أن للبيئة المادية وعوامل الاقاليم التي ينشأ ويعيش فيها الإنسان دورا مهما وحاسما في تكوين وتلوين الابنية العلوية التي تحكم سلوك هذا الإنسان بما فيها من الطباع والاخلاق والعادات، وهو يعد هذه الحقيقة قانونا عاما في جميع جهات الارض لا يتخلف ابدا، ويقول علي مبارك في هذا الصدد: " وهذا قانون عام في جميع جهات الارض، فكل سكان بقعة من مبدأ اتخاذهم لها مقرا ووطنا قد تخيلوا حتى اهتدوا إلى ما يوافق احوالهم بالنسبة لهذه البقعة، ومن ثم كانت الطباع والاخلاق والعادات متولدة من طبيعة قطر الجهة، واما ما زاد فطارئ من اختلاط سكان كل بقعة بمن جاورها " [100].

ويمكن القول أن علي مبارك الذي عرض في كتاباته التاريخية لاثار مصر القديمة العظيمة المعجزة قد اتخذ في تفسيره لاسباب اقامتها وامكانيات بُناتها ومؤهلات تشييدهم لها الموقف العلمي الذي يجتذب الاعجار والاكبار، فقبله نسب كثير من المؤرخين اقامة هذه الاثار الخالدة إلى الجن والشياطين عندما راوها فائقة ومتفوقة عن قدرات العلم والعمارة في العصور التي كتبوا فيها، وبعده حتى عصرنا الراهن، ينسبها كتّاب إلى قوم قد هبطوا من السماء، فأقاموها، ثم عادوا ثانية إلى السماء، واما علي مبارك فانه يفسر ذلك الاعجاز العلمي والمعماري والحضاري الذي تجسده هذه الاثار تفسيرا علميا وانسانيا، يقبله العقل المستنير ويزداد به ايمانا بقدرات العلم وامكانيات الإنسان [101].

ولم يلجأ علي مبارك إلى نسبة ذلك التقدم إلى الجن والشياطين، كما فعل كثير من المؤرخين القدامى، ولا إلى الذين هبطوا من السماء، كما يفعل مروجوا الخرافة المحدثون، وانما اختار التفسير الانساني والعلمي لتلك الظاهرة الباحثة عن تفسير، فقال أن الانسانية التي سبقت حادث الطوفان كانت قد بلغت في الحضارة شوطا كبيرا وشانا بعيدا، وان في تكذيب الناس قبل الطوفان لكثير من الرسل والأنبياء الذين دعوهم إلى دين الله، لدليل على أن هؤلاء المكذبين قد بلغوا من العلم والتقدم ما جعلهم على درجة من الاعتزاز والغرور الذي جعلهم يحاجون المرسلين ويسفهون دعوات الأنبياء [102].

---

[98] علي مبارك ، علم الدين ، المصدر السابق ، المسامرة (34) (شذرات) ؛ الخطط ، الجزء الثاني ، ص 16 ، 33 ، 59 ، 112 ، 120.

[99] محمد عمارة ، الاعمال الكاملة لعلي مبارك ، المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص 490 .

[100] المصدر نفسه ، ص634 .

[101] المصدر نفسه ، المجلد الثاني ، ص 225 .

[102] المصدر نفسه ، ص226 .

ويضيف علي مبارك عن هذا الموضوع قائلا: " ولابد أن تكون الحضارة بمكوناتها وعلومها، قد نجت مع نوح وقومه من دمار الطوفان، ولابد أن تكون هذه العلوم قد عادت إلى النمو والازدهار بعد الاستقرار والانتشار الذي اعقب الطوفان، ولابد أن تكون مصر القديمة بحضارتها وتقدمها المعجز احدى ثمرات تلك العلوم التي جاءت اليها من حضارة ما قبل الطوفان عبر الذين نجوا من الغرق فيه " [103].

وعندما يعرض علي مبارك المؤرخ بالتفسير لظاهرة النمو والازدهار الذي تحقق لبقايا هذه العلوم والمعارف على ارض مصر القديمة بالذات، وللاسباب التي جعلت هذه الارض مهدا لنشأة علوم كثيرة والوصول إلى تطبيقات مدهشة يعود إلى القانون الذي نبهنا إلى عموميته وهو: انبعاث التقدم العلمي والحضاري من احتياجات الإنسان وصلاح البيئة التي يقطنها لذلك، فمصر بلد زراعي، لانه قد تكوّن ونشأ من النيل وفي ارتباط به، ومن ثم كانت الزراعة والفلاحة هي الباعث على التقدم والاختراع والفكر والتفكير، وهي الوعاء الذي رعى وطور كل فروع هذا الميدان، فضرورات الإنسان المصري القديم، واعتماده في سد حاجات هذه الضرورات على الفلاحة، هو الذي اوصله وقاده إلى اكتشاف تلك المعارف والعلوم وتنميتها، بل وهو الذين قاده إلى اكتشاف القوة الالهية الفاعلة في هذا الكون، فعرفها وعرف الدين والتدين، وسلك سبيل التوحيد، فالدين هو الآخر معرفة وصل اليها الإنسان عبر العلوم والمعارف التي انشأها وحكم تطورها، قانون انبعاث المعارف ونموها من ضرورة استجابة الإنسان لما لذاته ومجتمعه من احتياجات [104].

ويعرض علي مبارك لهذه الحقيقة الهامة عندما يتحدث عن المؤثرات الاساسية التي تشكل ادراكات الإنسان والهاماته واخلاقياته وعاداته، فعنده أن: " كل ما يكون للانسان من ادراكات والهامات واخلاق وعادات واعمال انما هي امور مكتسبة واردة عليه من قوة خارجة عنه وانفعالات تنطبع في ذاته من المؤثرات المكتنفة به واذا استقرانا احوال الإنسان وامعنا النظر في انواع عوارضه وجدنا المسلطات عليه في ادراكه وسائر احواله تنحصر في ثلاثة امور:

اولا: طبيعة البقعة التي نشأ فيها، وكيفية عيشه في الارض التي تولد منها.

ثانيا: الدين الذي يسوقه إلى سعادته وكماله بحسب ذاته.

ثالثا: الحكومة السياسية التي تسوسه، وتوقفه عند حده في تصرفاته [105].

ويمكن أن نلمح عند علي مبارك المؤرخ مكانا عليا لمعيار (الاستقلال) الوطني بين المعايير التي حكمت الازدهار أو التخلف في البلاد، وهو في هذا الباب يتقدم قلة من المؤرخين التي اهتمت اهتماما شديدا بهذا العامل، وابصرت دوره في صنع احداث التاريخ التي مرت بالمجتمعات، فالعدل عنده شرط للعمارة والتقدم، وقد تميز علي مبارك بالجرأة عندما طبق هذا القانون والمعيار فأبصر سلبيات الفتح العربي الاسلامي على عمران مصر، ولكنه كان بريئا كل البراءة من اية شائبة للتعصب ضد العروبة أو الاسلام، لانه قد مجّد عصور استقلال مصر الإسلامية عندما اعان فيها الاستقلال مع العدل النسبي على ازدهار العمران، وعلي مبارك في موقفه هذا لا ينطلق من مقولات فكرية مسبقة، وانما وهو المهندس ينطلق من دراسته لثروة مصر وعمرانها، وصلاح زراعتها ومصادر غلتها، ويتخذ خراجها ودخل حكومتها مؤشرا في هذا الميدان [106].

---

[103] المصدر نفسه ، ص 227 – 230 .

[104] محمد عمارة ، علي مبارك مؤرخ ومهندس العمران ، المصدر السابق ، ص 232 .

[105] علي مبارك ، نخبة الفكر في تدبير نيل مصر ، المصدر السابق ، الباب الثالث ، ص 171 .

[106] المصدر نفسه ، الباب الأول ، فصل فيما يتعلق بالنيل وفروعه ، ص105 .

وكان المنهج الذي التزم به علي مبارك المؤرخ سببا إلى رفضه الكثير من الخرافات والمقولات التي شاعت على ألسنة العامة دون أن يكون لها سند قوي أو حقيقي من التاريخ الصحيح، وقد كانت مصر ولا تزال مسرحا لكثير من هذه المقولات التي ربما نشأ بعضها وعاش وانتشر لاسباب سياسية تعلقت بالصراعات والمنافسات بين الاسر العربية المسلمة التي اقتتلت على الخلافة، أو بين اقاليم الامبراطورية العربية الإسلامية، فيقف مع حقائق التاريخ ويرفض بل وينقد المزاعم والاوهام، فهو يرى في القول بدفن (عبد الرحمن بن عوف) في مصر " زعما يزعمه الناس وليس كذلك " [107].

وينكر علي مبارك أن يكون (سيدي سارية الجبل) قد دفنت في مصر، رغم أن (ابن جبير) قد ذكر مشهده في رحلته، ويقول: " ولم نر في كتب التواريخ الصحيحة أن سارية جاء إلى مصر، فضلا عن انه مات بها ؟ " [108]، وينكر علي مبارك أيضا وجود جثمان (علي بن الحسين) (عليهما السلام) في مصر، ويصف ذلك الاعتقاد بأنه وهم، فليس قبره في مصر، بل في البقيع في المدينة المنورة [109]، وهو ينكر وجود جثمان السيدة (زينب بنت علي بن أبي طالب) (عليهما السلام) في مصر، ويقول: " اني لم أرَ في كتب التواريخ أن السيدة زينب بنت علي (ع) جاءت إلى مصر في الحياة في الحياة أو بعد الممات ! "، ويتبع تلك المقولات الشائعة بالتشكيك والتفنيد [110].

الخاتمة:

أسهمت التوجهات الاصلاحية التي شهدتها مصر منذ بداية القرن التاسع عشر في تكوين نخبة مثقفة شكلت الارضية المناسبة لولادة هذه النخبة، إذ اسمهت في تنبيه الاذهان وايقاض الافكار من السبات الذي عاشته في ظل السيطرة العثمانية ومن خلالها دخلت الكثير من علوم.

وقد كان لإصلاحات علي مبارك اثر كبير ومباشر،إذ شملت اصلاحاته جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وكانت دراسته في اوربا تعد نقلة نوعية وإضافة جديدة إلى النهضة المصرية، فقد اسهم وبشكل فاعل في نقل علوم ومعارف الغرب من خلال ترجمة الكتب الفرنسية، وكذلك القيام بتسجيل انطباعاته ومشاهداته من خلال رحلته الدراسية فجمعها في مؤلفاته كما فعل من قبله الطهطاوي، وأسهمت من جانب آخر عوامل عدة في تنامي الوعي السياسي والثقافي ولاسيما ما حدث من اصلاحات في عهد الخديوي اسماعيل شكل اسهاما في تطور الحركة الفكرية، فضلا إلى ذلك فقد كان للمفكر والمصلح الكبير علي مبارك اثر كبير وعامل مؤثر في النهضة الفكرية المصرية وتطورها لما كان يلقيه من دروس وتوجيهات حتى انه عد الموجه الحقيقي لجيل من المفكرين المصريين وأبا للتعليم في تلك الحقبة.

---

[107] علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، المصدر السابق ، الجزء الخامس ، ص123 .

[108] المصدر نفسه ، الجزء الخامس ، ص14 . عن (جامع سيدي سارية) .

[109] المصدر نفسه ، ص6 . عن (جامع ومشهد زين العابدين (ع)) .

[110] المصدر نفسه ، عن الحديث عن الجامع الزينبي وجامع الكروي و جامع سيدي عقبة .

المصادر :

أولا : القران الكريم

ثانيا : الوثائق :

1. دفتر 428 ، ج4 ، ص47 ، رقم 380 ، إلى حضرة محمد افندي عثمان في 7 صفر سنة 1287هـ / 9 مايو 1870م.
2. دفتر 433 ، ج3 ، وارد ديوان المدارس ، ص2 ، رقم 18 ، في 3 صفر سنة 1287هـ / 5 مايو 1870م .

ثالثا : الرسائل والاطاريح الجامعية :

1. سؤدد عبد الحسين سبتي ، دور النخبة المثقفة في الحياة الفكرية والسياسية في مصر 1869 – 1918م ، اطروحة دكتوراه ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية ، 2007 .

رابعا : الكتب العربية والمعربة :

1. إبراهيم عبده،تطور الصحافة المصرية واثرها في النهضتين الفكرية والاجتماعية،القاهرة، 1944م .
2. ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق وتعليق : عامر احمد حيدر ، المجلد الثاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2003 .
3. أبي الحسين الرازي ، معجم مقاييس اللغة ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، ج2 ، 1999م .
4. احمد امين ، زعماء الاصلاح في العصر الحديث ،
5. امين سامي باشا ، تقويم النيل ، المجلد 1 ، 2 ، ج3 ، القاهرة ، 1916م .
6. امين سامي ، التعليم في مصر ، القاهرة ، 1917م .
7. جاك تاجر ، حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر ، القاهرة ، د.ت .
8. جمال الدين الشيال ، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1951م .
9. حسين فوزي النجار ، احمد لطفي السيد ، سلسلة الأعلام ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975م .
10. حسين فوزي النجار ، علي مبارك أبو التعليم ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، 1967م .
11. ديبينج،قلائد المفاخر في غريب عوائد الاوائل والاواخر ،تعريب:رفاعة الطهطاوي،المطبعة الخديوية ببولاق، 1249هـ .
12. روبرت بالمر ، تاريخ العالم الحديث ، ترجمة : محمود حسين الامين ، مراجعة : جعفر خصباك ، مكتبة الوفاء ، الموصل ، 1964م .
13. ز.ل. ليفين ، الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث في لبنان وسوريا ومصر ، ترجمة : بشير السباعي ، ط1 ، دار ابن خلدون ، بيروت ، 1978م .
14. سامي عزيز ، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانكليزي ، القاهرة ، 1968م .
15. سعيد زايد ، علي مبارك واعماله ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1957م .
16. علي إبراهيم البحراوي، علي باشا مبارك اول وزير للمعارف وابو التعليم في مصر ، د.ط .
17. علي مبارك،الخطط التوفيقية ، ط1، ج9، المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق ، مصر، 1305هـ .
18. علي مبارك ، علم الدين ، ج1 ، الاسكندرية ، 1882م .
19. علي مبارك ، نخبة الفكر في تدبير نيل مصر ، ط1 ، مطبعة وادي النيل ، القاهرة ، 1297هـ .
20. عماد عبد السلام رؤوف ، محاضرات كتابة التاريخ العربي في العصر العثماني

21. عمر طوسون ، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس وسعيد ، طبعة القاهرة ، 1934م .
22. محمد دري الحكيم ، تاريخ حياة المغفور له علي مبارك ، طبع بالمطبعة الطبية الدرية ، مصر ، 1311هـ/1895م .
23. محمد عمارة ، الاعمال الكاملة لعلي مبارك ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1، 1979م .
24. محمد عمارة، علي مبارك مؤرخ ومهندس العمران، دار المستقبل العربي بمصر، ط1، 1984م .
25. محمود الشرقاوي و عبد الله المشد ، علي مبارك حياته ودعوته واثاره ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط1 ، 1962م .

خامساً : الصحف والمجلات :

1. مجلة روضة المدارس المصرية ، العدد الأول ، العدد 21 ، السنة الخامسة ، 1874م .